الفصل الرابع

صراعات واضطرابات مبكرة

١ - أكوبو توشيميتشى يقبض على مقاليد الحكم:

بعد إخفاق الجناح الذى يدعو إلى غزو كوريا بزعامة سايجو تاكامورى، وتركهم مناصبهم، بدأ على التو أكوبوتوشيميتشى الذى تزعم الجناح المناهض لغزو كوريا فى اليوم ذاته فى الإعداد لمجلس قيادى جديد، وبالفعل عين كلا من إيتوهيروبومى وكاتسوكايشو فى ٢٥ أكتوبر ١٨٧٣م (٦ من ميجى) وفى ٢٨ من الشهر نفسه عين تراجميا مونى نورى Terajima Munenori (١٨٣٢م – ١٨٩٢م). كذلك كان لمعارضة السياسى الكبير كيدو تاكايوشى لغزو اليابان لتايوان فى مايو ١٨٧٤م أثره الكبير فى ابتعاده عن حلبة السياسة لفترة مؤقتة. والمعروف عن كيدو أنه شكل أحد الأعمدة الثلاثة التى قامت عليها ثورة ميجى الإصلاحية وذلك مع كل من سايجو تاكامورى وأكوبوتوشيميتشى، وهكذا خلت الساحة من كبار الساسة لصالح أكوبوتوشيميتشى. وعلى الرغم من أن سايجو ورفاقه أُمروا بالمكوث فى طوكيو فإنه عاد فى نهاية أكتوبر ١٨٧٣م إلى مسقط رأسه فى كاجوشيما وكان لهذه العودة لسياجو ورفاقه الأثر العميق فى مصيره وفى مسيرة السنوات الأولى من حقبة ميجى كما سنرى فيما بعد.

على أية حال، كان نشاط أكوبو بعد ذلك بارزا وسريعا وبالفعل بدأ فى بذل جهوده من أجل تعضيد النظام والإدارة الحكومية وعليه قام بإنشاء وزارة (نظارة) الداخلية لأول مرة فى اليابان وذلك فى نوفمبر من العام نفسه ونصب نفسه ناظرا عليها، ثم قبض على مقاليد الشرطة فى كل أنحاء البلاد، وعلاوة على ذلك قام بإنشاء مديرية أمن طوكيو فى يناير من عام ١٨٧٤م، وولى رئاستها لابن جلدته كاواجى توشيوشى Kawaji Toshiyoshi (١٨٣٤م – ١٨٧٩م) الذى كان يثق به تماما وكان كاواجى بالفعل عند حسن ظن أكوبو، فأبلى بلاء حسنا من أجل تأسيس نظام شرطى قوى فى اليابان. وقد عمل كاواجى على استتباب الأمن بالعاصمة. وفى الحقيقة إن وزارة الداخلية اليابانية بدأت قوية وفتية، فقد أصبح بيدها الحق فى مصادرة الصحف والمجلات وتوجيه المحليات وغير ذلك من

الأمـور الداخليـة. وقد كان عدد جنود الشـرطة فى البداية ثلاثـة آلاف جندى من بينهم ألفان من ساتسوما فقط، ولكن بعد أن أصبحت ساتسوما معارضة للحكومة تم تجميع جنود آخرين من محاربى المنطقة الشمالية الشرقية. من خلال هذا النظام الشرطى القوى استطاع أكوبو إقامة نظام متسلط واستطاع أيضا التخلص من كل معارضيه وأعدائه داخل الحكومة. ولكن هل نعم أوكوبو بفترة حكم مسـتقرة؟ فى الحقيقة جاءت مجريات الأمور على عكس ما أراد أكوبو تماما. وذلك بسـبب الثورات والهوجات التى قام بها الفلاحون والمحاربون. وكذلـك الاضطرابات التـى أحدثها معارضون من الحزب المؤيد لغزو كوريا، وعلى الأخص إيتوشـينبى وسـايجو تاكاموراى ثم اندلاع حرب السـينان (حرب الغرب والجنوب) بين جيش الحكومة وجيش تاكامورى فى عام ١٨٧٧م. ثم كانت النهاية المفجعة باغتيال أكوبو على يد مجموعة من الحانقين عليه بقيادة شـيمادا إيتشـيرو فى مايو ١٨٧٨م، وذلك بعد نحو خمس سنوات من تنفيذه لسياسة الإدارة المطلقة والمستبدة.

فى الحقيقة نسـتطيع أن نجد لأوكوبو العذر فى فرض سياسـته الداخلية المسـتبدة، وكذلك فى معارضته لسياجو وصحبه فى أمر غزو كوريا حيث إنه وجد أن الوضع الداخلى المتأزم لا يسـمح بمثـل تلك المغامرات الخارجية. وذلك لأنه بسـبب فرض قانون التجنيد الإجبارى وإجبار المواطنـين وخاصة الفلاحين على تعليم أولادهم، والنفقات الباهظة التى كان يحتاجها التعليم وإنشاء المدارس فقد حدثت ثورات وهوجات فى مختلف أنحاء البلاد خـلال عـام ١٨٧٣م (٦ من ميجـى). وقد زاد عدد ثورات الفلاحـين للضعف مقارنة بما حدث فى عام ١٨٧٢م حيث وصل عددها إلى نحو ثلاثين هوجة وثورة. ففى محافظة أويتا اسـتمرت الثورة الكبيرة التى بدأت منذ نهاية عـام ١٨٧٢م ولم تهدأ حتى يناير من العام التالى. وفى مايو تواترت الثورات والهوجات فها هى واحدة فى شمال محافظة أوكاياما ثم أخرى فى محافظة فوكوأوكا وثالثة حدثت فى غرب اليابان. ومن بين تلك الثورات الثلاث تميـزت هوجة فوكوأوكا بضخامتها ويقال إن عدد الفلاحين الذين شـاركوا فى هذه الثورة بلغ نحو ٣٠٠ ألف شخص واستمروا فى ثورتهم لمدة ٩ أيام وباستثناء الأغنياء من الفلاحين فقد شارك المعدمون والبسطاء وكذلك وسطاء الفلاحين فى هذه الثورة، وقاموا بمهاجمة كل شىء يمت للحكومة بصلة.

وزاد الطين بله عندما عاد سايجو إلى موطن رأسه حانقا على أكوبو وحزبه بسبب منعه وصحبه من غزو كوريا. ولم يعد سايجو إلى ساتسوما وحده بل تبعه فى ذلك عدد من مؤيديه

ومن أشهرهم كيرينو طوشى آكى Kirino Toshiaki (١٨٣٨م – ١٨٧٧م) الذى أصبح فيما بعد قائد جيش سايجو عندما حارب جيش الحكومة عام ١٨٧٧م واستشهد فى حرب السينان. ولفرط غضب هؤلاء المحاربين على النظام فقد قام تسعة محاربين من محافظة كوتشى بمحاولة لاغتيال السياسى الشهير إيواكورا طوموى فى يناير ١٨٧٤م، ولكن هذه المحاولة فشلت إلا أن إيواكورا أصيب بجراح. وحكم على المحاربين التسعة الذين قاموا بمحاولة الاغتيال بالإعدام وتم تنفيذ الحكم فى يوليو من العام نفسه. ونستطيع أن نستدل من قسوة الحكم مدى تطرف نظام أكوبو فى معاقبة الجناة. وربما كانت هذه القسوة ترجع لرغبة الحكومة فى كبح جماح المحاربين الناقمين عليها. إلا أن هذه القسوة فى التعامل مع أعداء النظام والناقمين عليه لم تؤدِ إلى تلاشى الاضطرابات والصراعات الداخلية بل زادت منها كما سنرى فيما بعد. وقد عدت حادثة محاولة اغتيال إيواكورا بمثابة علامة وإشارة إلى مدى ضراوة الثورات والهوجات التى حدثت فيما بعد.

٢ - المطالبة بإنشاء برلمان منتخب:

ومع وضوح استبداد نظام أوكوبو كان لابد أن يكون هناك رد فعل ومقاومة من معارضيه. وقد انطلقت شرارة الهجوم على أكوبو من إيتاجاكى تايسوكى، وهو أحد الخمسة الكبار الذين أيدوا غزو كوريا. وجاءت هذه المعارضة فى شكل عريضة قدمت للحكومة من أجل إنشاء برلمان ينتخب بواسطة المواطنين (Minsen Giin)، ووقع على هذه العريضة سبعة آخرون غير إيتاجاكى. وقد انتقد الموقعون على العريضة الاستبداد الحكومى وطالبوا بإنشاء برلمان منتخب من أجل ضمان حيز من الحريات والحقوق للمواطنين. بل والأكثر من ذلك أنهم قاموا بنشر هذه المطالب عبر صحيفة أنشأوها خصيصا من أجل ذلك. وبذلك أوجدت هذه المجموعة بزعامة إيتاجاكى حركة سياسية جديدة لم تكن معروفة من قبل. وقد وضح من خلال هذا النشاط السياسى مدى تأثر إيتاجاكى بالحضارة والفكر الغربيين، ومدى نشاطه من أجل تطبيق هذا الفكر المتقدم فى اليابان أيضا. والحقيقة أن إيتاجاكى كان قد قام قبل ذلك عام ١٨٧٠م (٣ من ميجى) بالتعاون مع زميل كفاحه جوطو شوجيرو Gotō Shōjirō (١٨٣٨م – ١٨٩٧م) بعمل إصلاحات سياسية فى مسقط رأسهما مقاطعة طوسا. ولكن الغريب هنا أن أفكار إيتاجاكى المثالية من أجل إصلاح السياسة الداخلية تعارضت مع أفكاره الإمبريالية التوسعية فى سعيه من أجل غزو كوريا، بمعنى أنه وقع فى تناقض واضح مع أفكاره الليبرالية.

آمن إيتاجاكى أيضا بمبدأ حتمية الحريات الإنسانية وأن تلك الحريات ما هى إلا منحة إلهية وحق طبيعى ليس للبشر يد فيها (Tempu Jinken) وهو فى ذلك يردد بلا شك ما يقول به الفكر الديمقراطى الغربى ولكنه على الرغم من ذلك فحينما أراد أن يطبق هذا الفكر فى اليابان فقد رأى أنه لا يمكن تطبيقه فجأة على كل طوائف الناس باليابان ولكنه رأى أن يعطى حق المشاركة السياسية فى البداية للعسكريين والأغنياء من التجار والفلاحين فقط، فمن وجهة نظر إيتاجاكى فإن هذه النوعية من اليابانيين هى التى أسهمت كثيرا من أجل إنجاز وخروج ثورة ميجى الإصلاحية للنور. ولذلك فلابد من الأخذ برأى هؤلاء الناس عند ترتيب السياسة اليابانية وذلك من أجل تعضيد أركان الحكومة.

ولكن على الرغم من تناقض إيتاجاكى مع نفسه فى أمر إعطاء الحريات الإنسانية لجميع اليابانيين فى الوقت نفسه، فإنه لا أحد يستطيع أن ينكر فضل هذا الرجل فى بعثه لمنطق وجوب إعطاء الحريات والحقوق للمواطن اليابانى العادى فى مهد النهضة اليابانية الحديثة، كذلك فإن العريضة التى قدمها مع رفاقه السبعة قد ألقت بحجر فى مياه الحريات الراكدة. وجعل المجتمع اليابانى أو على الأقل جعل النخبة السياسية تتجادل وتتناقش فى أمر إنشاء البرلمان وذلك بصوت مسموع ربما لأول مرة فى تاريخ اليابان الحديث. وظهرت فى ذلك الوقت المبكر من عصر ميجى وجهتا نظر فيما يتعلق بإنشاء برلمان منتخب.

الأولى وينادى بها كاتو هيرويوكى Katō Hiruyki (١٨٣٦م – ١٩١٦م) ومفادها أنه لا يجوز الإسراع فى إنشاء مجلس نيابى منتخب وأن الوقت ما يزال مبكرا من أجل ذلك. ووجهة النظر الثانية ونادى بها أوى كنتاور Ooi Kentaro (١٨٤٣م – ١٩٢٢م) ومفادها أنه يجب إنشاء البرلمان المنتخب على وجه السرعة، وانتقد بشدة مقولة «إن الوقت مازال مبكرا لإنشاء البرلمان المنتخب» وقد أدى هذا الجدل وتلك المناقشات إلى تحفيز شباب المحاربين المفكرين من أمثال فوكوزاوا يوكيتشى وناكامورا كيئو Nakamura Keio للدعوة والمناداة أيضا بهذا الأمر خاصة أنهما كانا مطلعين على الفكر الغربى. وكان نتيجة هذا النشاط أن قويت واشتدت حركة الحقوق الحريات المدنية التى تطالب بافتتاح البرلمان.

٣ - ثورة ساجا:

عاد إيتوشينبى وهو كما ذكرنا آنفا أحد القادة الخمسة الذين كانوا يؤيدون غزو اليابان لكوريا إلى مسقط رأسه فى ساجا (تقع فى جزيرة كيوشو) فى يناير ١٨٧٤م بعد أن يأس من

موقف الحكومة واستبدادها. وقبل أن يعود إيتو إلى ساجا حذره إيتاجاكى من أن عودته هذه ربما تسبب توترات كبيرة فى ساجا وبالفعل صدق إيتاجاكى وحدث ما توقع. فقد كان فى ساجا قبل عودة شينبى حزب متطرف يشتعل شوقا لغزو كوريا. وكان هناك أيضا حزب وطنى يدعو لرفعة البلاد بقيادة شيمايوشى تاكى (١٨٢٢م - ١٨٧٤م) وما لبث إيتو بعد عودته من طوكيو أن وجد الحزبين تحت راية واحدة وأصبح قائدا لهذا الحزب. وأعد هذا الحزب مركزا للمطالبة الملحة لغزو كوريا وعن طريق هذا المركز تم تجميع الأسلحة والإعداد العسكرى وبعد إعداد أكثر من ثلاثة آلاف جندى، قرر هذا الحزب المتطرف طرد الحزب المعادى لغزو كوريا من الحكومة وذلك باستخدام القوة، ثم إنفاذ الغزو اليابانى لكوريا. وبالفعل فى يوم ١٦ من شهر فبراير تحرك محاربو ساجا الثائرون على الحكومة فهاجموا البنوك واستولوا على الأموال الخاصة بالجيش ثم قاموا أيضا بالهجوم على قلعة ساجا التى كانت تقع بها المحافظة ذاتها.

كان إيتو بتمرده على الحكومة يتوقع أن تتمرد باقى فرق المحاربين الناقمين على الحكومة فى كل أنحاء البلاد. وعلى الجانب الآخر فإن أوكوبو أيضا خشى أن يكون تمرد محاربى ساجا بداية لتمرد المحاربين الآخرين فى مختلف البلاد ولذلك وجد أن يخمد هذا التمرد على الفور وإلا أفلت الزمام من بين يديه. وبالفعل أرسل أوكوبو جيش الحكومة إلى ساجا، وتوجه هو أيضا إلى مدينة فوكو أوكا القريبة من موقع الأحداث.

لم يكن لجيش ساجا المتمرد أن يصمد أمام قوة جيش الحكومة لا من ناحية العدد ولا التدريب ولا أيضا من ناحية نوعية التسليح المتقدم. فما لبث أن انهار تماما فى الحال وسرعان ما هرب إيتو من ساجا فى يوم ٢٣ فبراير أى بعد ثمانية أيام فقط من بداية التمرد. ثم حاول اللجوء إلى أحد رجال إيتاجاكى فى مدينة طوسا وهو هاياشى يوظو Hayashi Yūzō (١٨٢١م - ١٩٤٢م) ولكن الأخير رفض نجدته. وفى النهاية تم القبض عليه على الحدود ما بين محافظة كوتشى ومحافظة طوكوشيما وذلك فى يوم ٢٩ مارس، كذلك تم القبض على الرجل الثانى فى تمرد ساجا شيمايوشى تاكى فى يوم ٧ مارس فى محافظة كاجوشيما.

ولما كانت الحكومة تريد قمع أى تمرد وأن تجعل من قادة تمرد ساجا عبرة لمن يعتبر، فقد قامت بعقد محكمة عسكرية عاجلة فى مدينة ساجا. وبعد أسبوع واحد من عقد هذه

المحكمة تم الحكم على القائدين وأحد عشر آخرين من الثوار بالإعدام شنقا. وقد أدت ثورة ساجا وأدى ذلك الحكم القاسى على قوادها إلى إفشاء روح من عدم الرضا والاستياء فى كل أنحاء غرب اليابان تقريبا على ساسة الحكومة.

٤ - الاضطرابات فى كل مكان:

لم تكد حكومة ميجى تنتهى من توقيع معاهدة الصداقة مع كوريا فى فبراير من عام ١٨٧٦م حتى التفتت نحو المحاربين (Bushi) تنتزع منهم الامتياز تلو الآخر حتى أصبحت هذه السنة عاما لا يحتمل بالنسبة للساموراى. فلم يمر سوى شهر واحد على عقد المعاهدة مع كوريا حتى أصدرت الحكومة أمرا بعدم السماح للمحاربين بتقلد سيوفهم. وحيث إن السيف يعد بمثابة الروح للساموراى اليابانى، فقد وقع هذا الأمر الذى صدر فى ٢٨ مارس ١٨٧٦م كالصاعقة على المحاربين وجعلهم يحنقون أشد الحنق على الحكومة، ثم أصدرت الحكومة بعد ذلك وفى شهر أغسطس من العام نفسه أمرا بقطع المرتبات والعطايا الحكومية للساموراى. وصرفت لهم بشكل مؤقت مرتبات ضئيلة ولكن على شكل سندات حكومية. وهذا ما جعل حياة الساموراى وعائلاتهم فى أشد الضيق.

وكان رد المحاربين على هذه الإجراءات الحكومية سريعا؛ ففى شهر أكتوبر (١٨٧٦م) حدثت ثورة كبيرة فى مدينة كوماموطو قام بها حزب تبجيل الإمبراطور (kEISHINTŌ) الذى كان يقوده أوتاجورو طومو أو Otaguro Tomoo. وهذا القائد وأتباعه كانوا جميعا مقتنعين أشد الاقتناع بمبدأ تبجيل الإمبراطور وطرد الأجانب، وإلى جانب ذلك كانوا حانقين على سياسة حكومة الإصلاح وما تقوم به من إصلاحات وتغييرات على مختلف الأصعدة، فقد قاد أوتاجورو ما يزيد على ١٩٠ محاربًا ثائرًا وهاجموا كتائب الحكومة ومبنى محافظة كوماموطو، وقتلوا قائد الكتيبة الحكومية وكذلك محافظ المدينة. ولكن سرعان ما استطاعت كتائب الحكومة القضاء على هذه الثورة، ولكن بعد أن أدت إلى إثارة ثورات وهوجات فى أماكن أخرى كما سنرى. ولم تمر سوى ثلاثة أيام على اندلاع ثورة حزب تبجيل الإمبراطور (Keishintonoran) التى تحدثنا عنها توا حتى اندلعت ثورة أخرى فى محافظة فوكوأوكا، ففى السابع والعشرين من الشهر نفسه قام مائتان من المحاربين فيما كان يطلق عليها مقاطعة اكيتسوكى وذلك تحت قيادة ميازاكى كورما نوسوكى بالانتفاضة. ثم حاول هؤلاء الثوار الاتحاد مع الثوار فى محافظة ياما جوتشى

وذلـك تحت قيادة المحارب العنيد مايبارا إيسـى Maebara Issei (١٨٣٠م – ١٨٧٦م) نحو محافظة ياما جوتشـى، إلا أن هذه الخطة أحبطت بواسـطة جنود كتائب الحكومة المتمركزة فى مدينة كوكورا Kokura الواقعة شمال شرق محافظة فوكو أوكا.

ثم نأتى بحديثنا عن ثورة هاجى (Hagi NoRan) التى حدثت أيضا فى شهر أكتوبر وبعد يوم واحد من هوجة أكيتسـوكى (Akitsuki Noran) أى فى الثامن والعشرين منه. وقـاد هذه الثورة مايبارا إيسـى، وفى الحقيقة لم يكن مايبـارا هذا مجرد محارب عادى ولكن كان له باع لا بأس به فى سياسـة حكومة ميجـى فى سـنواتها المبكرة، فقد كانت بداياته فى مدينة شـوكاصون التى تخرج منها العديد من القادة المشـهورين باليابان. ثم انخرط فى حركة توقير الإمبراطور وطرد الأجانب (Sonnō Jōi) واشترك كذلك فى حرب البوشـين ضمن جيـش الحكومة أو جيش الإمبراطور وذلك ضد فلـول قوات الباكفو، وفى العـام الثانـى من ميجـي أى فى عام ١٨٦٩م أصبح عضواً فى الحكومة الجديدة (Sangi) وكذلك شـغل منصب ناظر الحربية (Hyōbu Taifu). ولكنه سـرعان ما استقال على أثر اصطدامه بفكرة المحافظ ضد كيدو تاكايوشى، وذلك فى سبتمبر ١٨٧٠م، وعاد إلى موطن رأسـه فى مدينة هاجى بمحافظة ياما جوتشـى وكون حزبا جمع به محاربى ياماجوتشى الحانقـين على حكومة ميجـى ثم انضم مايـبرا للحزب المناصر لغزو كوريا ضد الحكومة. وقد حنق مايبارا على كل شـىء بطوكيو واعتبر أن جوها فاسـد بسبب ممارسات الساسة الذين تحالفوا مع التجار ولم تشـغلهم سـوى مصالحهم الشخصية فقط. كذلك حنق أيضا على سياسات حكومة ميجـى مثل الإصلاح الضريبى وقانون التجنيد الإجبارى الذى أدى إلى فقدان المحاربين وظائفهم وغير ذلك. ولم تكتفِ الحكومة بذلك بل إنها بعد أن وضعت المحاربين فى موقف سـيىء وأدت بهم إلى الفقر اسـتعملت معهم القوة لإخضاعهم عندما أبدوا اسـتياءهم من سياستها. وما ثورة سـاجا وما فعلته الحكومة بالمشتركين فيها ببعيد عن ذهن مايبارا ورفاقه.

كانـت بدايـة ثورة هاجـى عندما تجمع الثوار حـول مايبارا فى مدرسـة المدينة فى يوم ٢٦ أكتوبر. وفى فناء المدرسـة أشـعلوا نيران ليلية رافعين لافتة كُتِب عليها بخط كبير عبارة «جيش شهداء الوطن» حتى يثيروا محاربى هاجى الغاضبين. ثم امتدت هذه الثورة إلى جميع أنحاء مدينة هاجى كما تنتشـر النار فى الهشـيم. ثم حاول الثوار التوجه إلى المدن المجاورة

إلا أن جيش الحكومة تمكن من منعهم من تحقيق هدفهم هذا. وكانت نهاية الثورة على يد قائد القوات الحكومية فى محافظة هيروشيما الذى كان فى زيارة لكتائب الحكومة فى كوماموطو، وذلك فى يومى ٢ ، ٣ نوفمبر حيث دارت معركة حامية الوطيس بينهم وبين جيش الحكومة بقيادة ميئورا جورو Miura Gorō (١٨٤٧م – ١٩٢٦م). وفى يوم ٤ نوفمبر حضرت تعزيزات من قوات أوساكا إلى ياماجوتشى وبعدها على الفور جاءت بارجتان إلى سواحل ياماجوتشى وقصفت قوات الثورة، وبذلك استطاعت حكومة ميجى إخماد الثورة التى تعتبر أكبر الثورات التى قامت فى غرب البلاد حيث اشترك فيها ما يقرب من خمسمائة محارب.

بعد إخماد ثورة هاجى حاول مايبارا الهروب إلى محافظة شيمانى Shimane، ولكن تم القبض عليه فى مدينة صغيرة تدعى ماتسوى Matsue. وتم وضعه فى سجن هذه المدينة ثم تم إرساله مرة أخرى إلى مدينة هاجى. وقد أصدرت عليه محكمة ياماجوتشى الحكم بالإعدام فى ٣ ديسمبر من العام نفسه.

تم إعدام مايبرا بعد أن ساهم بدلوه فى إنهاء الباكفو كما ساهم غيره من المحاربين، وبعد أن ساهم أيضا بجهوده من أجل الحكومة الجديدة، وبقيت كلمته الشهيرة « يفاخر ما يزيد على ٤٠٠ ألف محارب فى كل أنحاء اليابان بإنجازهم فى إعادة سلطان الإمبراطور. وكجزاء لهم على ذلك عوقبوا بالموت جوعا وكأن لسان حاله يردد المثل الشعبى المصرى «آخر خدمة الغز علقة»، وربما كانت هذه الحالة الشعورية من الندم هى أيضا لسان حال الكثير من المحاربين. هكذا أخمدت الحكومة الثورات فى كل الأماكن التى قامت بها باستخدام جيش الحكومة الحديث، ولكن بقيت الثورة الكبرى والحرب الضروس التى ستنشب بين حكومة ميجى والزعيم سايجو تاكاموري.

٥ - مملكة سايجو وحرب السينان:

عاد سايجو تاكاموري إلى جاكوشيما فى نهاية ١٨٧٣م وذلك بعد هزيمته فى معركته ضد الحكومة من أجل غزو كوريا. وعلى أية حال فلم يعد خالى الوفاض فقد أعطته الحكومة المركزية فى طوكيو ألفى جوكو من الأرز (نحو ٣٦٠ طنًا) وبقيمة هذه الكمية الكبيرة من الأرز افتتح سايجو فى موطن رأسه مدرسة خاصة ولكن غلبت عليها الصفة العسكرية. ولكنه سلم زمام هذه المدرسة وإدارتها لآخرين وتفرغ هو للعمل بالزراعة تارة وممارسة الصيد تارة أخرى. ولكن برغم ذلك كان لشخصية سايجو القوية وتاريخه الحافل بالكفاح

تأثير واضح على محافظة كاجوشيما فأوعز لها بمعارضة حكومة ميجي فى كل الخطوات الإصلاحية والأوامر التى كانت تصدرها بشكل متكرر فى أوائل عهدها نظرا لكم القوانين والعادات التى رأت حكومة ميجي إلغاءها والإتيان بالجديد حتى تلحق بركب التحديث، فمثلا لم تحاول محافظة كاجوشيما تطبيق الإصلاح الضريبى على الأراضى الذى بدأ تطبيقه منذ عام ١٨٧٣م، ولم تحاول أيضا استخدام التقويم الشمسى الجديد الذى بدأ استخدامه أيضا منذ عام ١٨٧٣م أيضا. وكذلك كانت محافظة كاجوشيما هى المحافظة الوحيدة التى لم تنفذ أمر الحكومة المركزية بقطع المرتبات عن المحاربين وأتباعهم، وخالفت أيضا أمر التخلى عن عادة تقلد السيوف (Haitorei). وبذلك أصبحت كاجوشيما وكأنها مملكة خاصة بسايجو وأتباعه من المحاربين. وأصبح بالتالى سايجو ومملكته وكأنها حلم ونبراس لكل المحاربين الحانقين على حكومة ميجي فى كل أنحاء اليابان.

ولسخرية القدر كان ناظر الداخلية آنذاك هو صديق سايجو القديم أوكوبو طوشيميتشى، ولكنه لم يلق بالاً لهذه العلاقة القديمة وحاول قدر استطاعته من أجل الحفاظ على الأمن العام التخطيط لإصلاح سياسة محافظة كاجوشيما وفرض الهيمنة المركزية عليها ولكنه فشل فى ذلك. ولذلك ارتفعت الأصوات المهاجمة لموقف الحكومة الضعيف حيال كاجوشيما لتمتعها بهذا الموقف الفريد من المعاملة الخاصة بين كل المحافظات الأخرى. ولذلك كان على حكومة ميجي أن تأخذ موقفاً حازماً إن آجلاً أو عاجلاً مما يحدث فى محافظة كاجوشيما، فقد أصبح موقف سايجو القوى فى كاجوشيما وكأنه حصوة فى عين الحكومة المركزية يجب عليها اقتلاعها وإلا ظلت تؤرق مضجعها.

وعليه أرسلت الحكومة فى نهاية يناير وبداية فبراير ١٨٧٧م بعض رجال البوليس إلى كاجوشيما لاستطلاع الأمور هناك. وكذلك أخذت وزارة الجيش البرى المبادأة تحسباً لأى إجراء عسكرى يقوم به سايجو فقامت بنقل جزء من الأسلحة والذخيرة المخزونة فى كاجوشيما إلى أوساكا. ولكن تلك الإجراءات أغضبت طلبة المدرسة العسكرية التابعة لسايجو خصوصاً بعد أن تم القبض على بعض رجال البوليس المبعوثين من الحكومة واعتبرهم رجال كاجوشيما جواسيس بل قتلة جاءوا لمحاولة اغتيار سايجو.

ورداً على هذا الاستفزاز الحكومى فقد تجمع عدد كبير من طلبة المدرسة العسكرية وهاجموا هيئة الذخائر العسكرية التابعة للحكومة وكذلك الترسانة البحرية واستولوا على الأسلحة والذخيرة التى كانت مازالت فى عملية التحميل.

وفـى الحقيقـة إن سـايجو لم يكن يتصور أنـه يمكن أن يقع فى صدام عسـكرى ضد الحكومة ولا كان يريد أيضاً هذا الصدام. والدليل على ذلك أنه لم يسـتجب لدعوة كل من إيتو شينبى ومايبارا إيسى (Issei) للخروج عن طاعة الحكومة المركزية عندما قاما بثورتهما فـى كل من سـاجا وهاجى. وكل ما كان يتمناه هذا البطـل القومي هو أن يبقى فى مكان هادئ أمين له ولأتباعه فى الجنوب الغربي من اليابان. ولكن الأحداث جرت عكس ما كان يتمنى، فقد وصلت حدة الغضب بطلبة المدرسـة الخاصة بكاجوشيما وبالمحاربين الآخرين إلى نقطة الاشتعال ولم يعد فى مقدرة سايجو أن يوقف من حدتها.

وفى الخامس عشر من فبراير ١٨٧٧م بدأت جموع الغاضبين من طلبة المدرسة العسكرية الخاصة وغيرهم من المحاربين تتدفق نحو كاجوشيما تحت قيادة شينوهارا – كونى موطو Shinohara kunimoto (١٨٣٦م – ١٨٧٧م) وغيره من قواد المدرسـة. ثم توجهت هذه الجموع الحاشـدة التى بلغ عددها نحو اثنى عشـر ألفاً إلى كوماموطو. وفى الطريق انضمت لهـم أعـداد أخرى غفيرة مـن المحاربين من كل أنحاء جزيرة كيوشـو ليبلـغ العدد فى النهاية نحو ثلاثين ألف محاربٌ. وبذلك بدأت حرب السينان أى حرب الجنوب الغربى (Seinan Sensō) التى تعتبر أكبر ثورة للمحاربين ضد حكومة ميجـى.

فى البداية هاجم جيش الثوار قلعة كوماموطو التى كانت تتحصن بها كتائب الحكومة. ولم يتعـد عدد جنود هذه الكتائب المائتين، ولذلك تصور الجيش المهاجم أن سـقوط القلعة سوف يكون سهلاً. ولكن هذا لم يحدث. وتعذر على جيش سايجو إسقاط القلعة لمدة طويلة.

والطريـف أنه فى أثناء توقف القتال والسـجال بين جنـود الحكومة المتحصنين داخل القلعـة وقوات سـايجو فـإن كلا الطرفين كان يغنـى أغانى عديدة من أجـل الترويح عن أنفسـهم. فأصبح ميدان القتال وكأنه كورس كبير. وفى الوقت نفسـه تقريباً كانت هناك معركـة حاميـة الوطيس تدور بين جيش الحكومة – الـذى حضر من العاصمة وغيرها من المدن إلى كيوشـو – وجيش سـايجو شمال مدينـة كوماموطو بقليل فى منطقـة طاباروزاكا Tabaruzaka. وفـى هـذه المعركة أبلى جيش الحكومة الإلزامى بلاءً حسـناً وأظهر تفوقاً واضحاً على جيش سايجو الذى يتكون من المحاربين التقليديين (Shizoku).

ولكن يلح السـؤال هنا على القارئ: لماذا لم يسـتطع جيش ساتسـوما بعدده وعدته الهائلة إسـقاط قلعة كوماموطو على الرغم من اسـتطاعة ثوار حركـة تبجيل الإمبراطور

(No Ran Keishinto) اغتيال قائد كتائب كوماموطو بسهولة؟ وفى الحقيقة إن جيش سايجو وقع هنا فى خطأ لأن ذلك يمكن أن تسقط قلعة كوماموطو بسهولة ويسر. ولكن ما حدث قبل ذلك كان درساً قاسياً لقوات الحكومة. فقد قام قائد كتائب كوما موطو تانيكاجو ومن معه بتحصين القلعة جيداً وكذلك قام بتخزين كميات كبيرة من الذخيرة والطعام تحسباً لمعركة طويلة وحتى يأتى المدد من جيش الحكومة. ولذلك استطاعت حامية قلعة كوماموطو مقاومة جيش ساتسوما حتى وصل جيش الحكومة إلى المدينة، ولكن نظراً للحشود العظيمة لجيش سايجو (جيش ساتسوما) حول القلعة فلم يكن وصول جيش الحكومة إلى القلعة سهلاً على الإطلاق. ولكن وبسبب التسليح الجيد والتدريب الممتاز لجنود الحكومة فقد كان موقف جيش الحكومة هو الأفضل بشكل واضح. وكانت هناك نقطة أخرى لصالح جيش الحكومة وهى إمكانية إعطائه المدد بشكل مستمر فى حين أن هذا الأمر كان مستحيلاً على جيش ساتسوما. ففى يوم ٨ مارس توجهت إلى سواحل كاجوشيما ثمانى بوارج حربية حكومية.

ورغم ذلك ظل الحصار مضروباً على قلعة كوماموطو إلى أن عين الجنرال كرودا كيوتاكا Kuroda Kyōtaka (١٨٤٠م – ١٩٠٠م) مستشاراً ومخططاً لجيش الحكومة. ومن ثم اتخذ وسيلة أخرى للهجوم على جيش سايجو، فقد نزل بقواته على ساحل ياشيرو، ثم تقدم نحو قلعة كوماموطو من الخلف واستطاع أخيراً فى الأول من إبريل الوصول إلى القلعة.

وبعد خمسين يومًا تم فك الحصار عن القلعة، وعند هذه النقطة تم حسم المعركة تقريباً لصالح جيش الحكومة. وعلى الرغم من ذلك كافح جيش ساتسوما بشجاعة منقطعة النظير بعد انتقال المعارك فى المناطق الأخرى التى حارب بها مثل هيتويوشى وميناكونوجو وميازاكى، ثم انسحب إلى منطقة شيروياما فى شهر سبتمبر ١٨٧٧م. وفى ذلك الوقت لم يبق من جنود ساتسوما سوى ثلاثمائة فرد فقط. وفى يوم ٢٤ سبتمبر جاء الهجوم الكاسح من جيش الحكومة حيث انتهت تماماً ثورة ساتسوما وقتل أو بالأحرى انتحر فى هذه المعركة سايجو تاكامورى وعديد من رفاقه.

وفى الحقيقة لم تكن خسائر جيش الحكومة البشرية بسيطة، فقد كان هذا الجيش يزيد على ٦٠ ألف محارب فُقد منهم ٦٢٠٠ جندى، وهذا عدد بلاشك كبير. ربما كان أكبر بكثير مما توقع قائد الجيش البرى ياما جاتا أريتومو الذى توقع أن تعم ثورات المحاربين (الساموراى) الناقمين على الحكومة كل أنحاء اليابان، ولكن هذا لم يحدث فى الواقع، وأصبحت حرب السينان هى أكبر وآخر تمرد للساموراى على الحكومة.

وهكـذا انتهـت أكبر وأعنف وكذلك أطول ثورة لطبقة المحاربـين القدماء قبل أن يبرز الجيش الإلزامى، وسـقطت ثورة المحاربين إلى ما لا رجعة أمام جيش الحكومة الذى كان مسـلحاً تسليحاً جيداً ومدربًا تدريباً فائقاً. وتأكد بالتالى عدم فاعلية أى تمرد ضد الحكومة التـى امتلكـت بجانب الجيش أيضاً شـرطة قوية، وبذلك أيضاً تأكدت وقويت سـلطات الحكومة أكثر وأكثر، وكانت تلك من أهم نتائج حرب السينان.

ولكن على الجانب الآخر اندلع شـعور من الأسـى والحزن وانسكبت دموع رائقة على النهاية المأسـوية التى انتهى إليها سـايجو تاكامورى. ولم تكن هذه الدموع ولا ذلك الأسـى من فراغ. فأولاً كان سـايجو يعد أحد الأعمدة الثلاث التى قامت عليها الثورة الإصلاحية لميجـى (Ishin No Sanketsu) وذلك مع كل من رفيقى صباه أوكوبو طوشيميتشـى وكيدو تاكايوشـى. ولسخرية القدر فإن هؤلاء الثلاثة الذين قام على أكتافهم إصلاح ميجـى تركوا هـذه الدنيا فى وقت متقارب، فقد توفى كيدو تاكايوشـى مريضاً فى مايو ١٨٧٧م أى أنه لم يشهد نهاية حرب السينان. أما الضلع الثالث وهو أوكوبو فقد تم اغتياله على يد ضابط سابق فى الجيش البرى يدعى شيمادا إيتشيرو Shimada Ichiro وذلك فى منطقة كوجى ماتشـى بطوكيو فى ١٤ مايو ١٨٧٨م، وكان عمره آنذاك تسـعًا وأربعين عاماً فقط. وكذلك كيدو ترك هذه الدنيا ولم يتعد الرابعة والأربعين من عمره.

أما أطولهم عمراً فكان سـايجو تاكامورى، فقد كان عمره واحدًا وخمسـين عامًا عندما استشـهد فى شيروياما فى نهاية حرب السـينان كما ذكرنا. وهكذا وفى خلال عام واحد رحل أعمدة إصلاح ميجـي تباعاً. ولكن فى الحقيقة كان أسى وحزن اليابانيين الأكبر على سـايجو. والسبب الثانى للحزن الكبير على سايجو أنه تمتع بشخصية فريدة، تمتاز بقدر كبير من الحب والاحترام نحو أتباعه ومرءوسـيه، واستطاع سايجو أن يحتوى بشخصيته الجيد والردىء من الناس على السـواء، وهذه النوعية من الشـخصيات تكون محببة جداً لدى اليابانى العادى. والغريب أن شعبية سايجو مازالت جارفة بين عامة اليابانيين حتى الآن. ولكن مثل هذه الشخصية الصريحة الجريئة لم تكن فى الحقيقة مناسبة لتطوير خطة البنـاء الدقيقة للنظام الداخلـى اليابانى إبان بزوغ حقبة ميجـى. ولذلك فقد انتهى دور سـايجو الإيجابى فى عام ١٨٧١م عندما تمت خطة إلغاء المقاطعات وإنشـاء المحافظات التى كان دور سايجو فيها بارزاً.

ولفرط حب اليابانيين لسايجو فإنه عندما أشيع نبأ استشهاده فى شيروياما فإن الكثير منهم لم يصدق هذا الخبر واعتقدوا أنه فقط استطاع الهرب من هناك إلى روسيا. ونتيجة لهذا الاعتقاد فإنه فى عام ١٨٩١م – أى بعد ١٤ عاماً من موته – وحينما زار ولى عهد روسيا اليابان، فقد شاع بين الناس أن سايجو سيكون فى صحبة الأمير الروسى، وبالفعل تم الإعداد لحفل الترحيب بسايجو عند عودته لبلاده. ولشدة شوق المحبين لسايجو إلى رؤيته فقد تجمع الكثير من سكان مدينة كاجوشيما ومن خارج المدينة أيضاً حتى يكونوا فى استقبال بطلهم الشعبى. وفى عام ١٨٩٨م تم إزاحة الستار عن تمثال بورنزى لسايجو فى حديقة أوينو بطوكيو، قام بصنعه المثال اليابانى الشهير تاكامورا كوأون Takamura Koun (١٨٥٢م – ١٩٣٤م)، مازال اليابانيون حتى يومنا هذا يذهبون إليه خصيصاً لإعجابهم بهذا البطل.

٦- ثورات الفلاحين فى بدايات عصر ميجى:

استعرضنا فيما سبق ثوراتٍ وهوجاتٍ مثل ثورات ساجا، وحزب تبجيل الإمبراطور، هاجى وفى النهاية الثورة الكبرى لساموراى ساتسوما. وكل هذه الثورات قامت بواسطة المحاربين الناقمين على حكومة ميجي وسياساتها. وفى الحقيقة إن حكومة ميجى واجهت من أجل تحقيق هدفها فى إنشاء دولة حديثة مقاومة شديدة من هؤلاء المحاربين. ولكن ماذا كان موقف المزارعين من الحكومة؟.

الحقيقة إن الفلاحين ذاقوا المرار وعانوا كثيراً فى أثناء حكم الطوكوجاو، ولما قامت ثورة إصلاح ميجى فإنهم توقعوا أنها سوف تخلصهم من هذا الجحيم. وأنها سوف تقوم بتخفيض الضرائب عليهم إلا أن آمالهم ذهبت أدراج الرياح. ولم يفعل الإصلاح الضريبى الذى أقرته حكومة الإصلاح شيئاً للفلاح البسيط وكان فى معظمه موجهًا لخدمة ملاك الأراضى. وبسبب اعتناء إصلاح ميجى بالكبار فقط دون صغار الفلاحين، ولما لم تتحسن أحوال حياتهم على الإطلاق فقد خاب أمل هؤلاء الفقراء فى الثورة الوليدة وتحولوا بشعورهم عنها بل قاموا بهوجات عنيفة ضدها. ولقد بلغ عدد هذه الحوادث والهوجات فى السنوات العشر الأولى من عصر ميجي ما يزيد على خمسمائة فى كل أنحاء البلاد. وكانت الأسباب الرئيسية فى اندلاع هذه الهوجات هو مطالبتهم بتخفيض الضرائب العينية (Nengu) واعتراضهم على الإصلاح الضريبى وكذلك على نظام التجنيد الإجبارى.

بل إنهم كانوا يعترضون أيضاً على سياسة الحكومة واتجاهها نحو تحرير الطبقات المنبوذة والمهانة مثل الأتا والهينين (Eta - Hinin). وكان اعتراضهم أيضاً على تلقى التعليم شيئاً مؤسفاً أو لنقل إنه التفكير الرجعى الذى يقف فى مواجهة تيار التحديث، فكانوا يهاجمون المدارس وبيوت المدرسين ويخربونها اعتقاداً منهم أن تلك النظم التعليمية أضافت إلى أعبائهم الثقيلة أعباءً جديدة هم فى غير حاجة بها. وما من شك أن تلك الاعتراضات كانت بمثابة عوائق فى سبيل الانطلاق نحو دولة حديثة متطورة. ولكن لابد من إدراك أن الضغوط على المزارعين الصغار كانت أثقل من أن يتحملوها خاصة أن حكومة ميجى كانت تعتمد فى معظم دخلها الثابت والطويل المدى على ما يأتيها من دخل الضرائب على الأراضى الزراعية.

وقد تميز عام ١٨٧٦م من بين سنوات الإصلاح الأولى بالثورات الكبرى التى حدثت فى محافظات ميى Mie وجيفو Gifu وأيتشى Aichi وساكاى Sakai. ولذلك حاولت الحكومة تهدئة الأحوال فأقدمت على خفض قيمة الضرائب من ٣٪ إلى ٢.٥٪ من قيمة الأرض، وبالطبع عد ذلك بمثابة نصر كبير للفلاحين.

وهكذا وبعد استعراضنا للعديد من الاضطرابات والهوجات بسبب عدم رضاء واستياء مختلف الطبقات والنوعيات من اليابانيين نحو الحكومة الجديدة فى أوائل عصر ميجى بسبب التجنيد الإجبارى والإصلاح الضريبى وحركة التصنيع الجديدة وحتى ضد التعليم الإجبارى، نجد أن السنوات الأولى من عهد ميجى لم تكن سهلة على الإطلاق لا على الحكومة ولا على المواطنين. ولكن كان على اليابان أن تتقدم سياسياً واقتصادياً وبرلمانياً وتعليمياً وهذا ما حدث بالفعل، وأصبح عصر ميجى هو الانطلاقة الكبرى نحو يابان حديثة على الرغم من كل المساوئ التى حدثت فيه وكل الآلام التى تحملها اليابانيون.

❑❑❑